http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1527) السنة السادسة - الاحد (7) حزيران 2009

الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

العلاقات التضامنية للشعب الكردي

القسم السابع والعشرون

فلك الدين كاكه يي

ففي عهد صلاح الدين الايوبي، منذ ثمانية قرون، انتشر الكرد، أفراداً وجماعات، في مختلف البلدان والأقاليم الاسلامية، وبقايا معظم الموجودين منهم خارج كردستان الحالية، هم من أحفاد أولئك الكرد، سواء كانوا قد انتشروا كجنود أو اداريين وخطباء مساجد أو صناع أو قضاة وكتاب ومعلمين في المدارس الدينية وغير ذلك.

هجرة الكرد في العهد العثماني فيما بعد صلاح الدين الايوبي:

حيثما ذهبت قوات الجيش العثماني واستقرت وحيثما استقرت الادارات العثمانية المحلية في البلدان والاقاليم الاسلامية أو تلك المناطق الجديدة التي كان العثمانيون يستولون عليها، كان الكرد جزءاً من تلك الادارات. فالكرد في الاناضول كانوا يشكلون، بعد الترك، وربما قبلهم أحياناً، اكبر نسبة سكانية، فهم كانوا سكان الأناضول الأصليين، وكانت الاجزاء الكردستانية الحالية في العراق وسوريا وتركيا خاضعة مباشرة لسلطة الاستانة (أسطنبول). فكان الكثير من أسلاف الكرد في هذه الاجزاء موظفين وعسكريين في العاصمة العثمانية ذاتها أو في مراكز الاقاليم والبلدان التابعة لأسطنبول.

كانت كردستان آنذاك مقسمة الى جزأين، كما قلت سابقا، قسم خاضع للدولة الايرانية وهو القسم المعروف حتى الآن بكردستان أيران (أو شرق كردستان). أما القسم الثاني فكان تحت سيطرة الدولة العثمانية منذ سنة ١٥١٤م. وكما أسلفنا القول ان القسم الاخير قد توزع بعد سنة ١٩١٨ إلى ثلاثة أجزاء، هي الاجزاء أو الاقاليم الكردستانية الحالية في العراق وسوريا وتركيا.

تهجير الكرد الهموندين من العراق الى ليبيا:

باختصار لا توجد بقعة وصلتها الدولة العثمانية إلا وكان بعض الكرد جزء من الادارة العثمانية فيها، وكان العثمانيون ينقون مجموعات كردية بين حين وآخر، لأسباب عسكرية وسياسية غالباً، مثلاً في القرن الثامن عشر نفوا آلاف العوائل الكردية من عشيرة الهموند المعروفة الساكنة في منطقة جمجمال المرتبطة أصلاً بمحافظة كركوك (مرتبطة ادارياً الآن بالسليمانية)، وسبب النفي هو ان الهموندين كانوا يثورون بوجه الدولة العثمانية بين حين وآخر، فقاوموا هجمات عسكرية عثمانية كانت تحاول أخضاعهم، وكثيراً ما كانوا يكبدونها خسائر بشرية ومادية. فلجأت الدول العثمانية، اواسط القرن الثامن عشر الميلادي، إلى نفي جماعي لعدد كبير من العوائل الهموندية من أطراف جمجمال وكركوك الى حلب وحماة ومن هناك الى ليبيا وأسكنتهم في بنغازي وطرابلس والجبل الأخضر ومناطق أخرى، اذ حرصت الا يتركز وجودهم في منطقة واحدة، ونفت بعضهم إلى مدن داخل العمق العثماني.

أما الهموندين المعروفون بالصمود ازاء هذه الحملات التي أعتادوها، فقد عاد مئات الشباب والرجال الكبار منهم في رحلات سرية مشياً على الأقدام على هدى النجوم حسب منجمين بينهم، من الاراضي الليبية إلى مناطقهم الأصلية في جمجمال، حيث نظموا أنفسهم عسكرياً، من جديد، واعلنوا المقاومة ضد السلطات العثمانية. ولما كان بعض الهموندين ينسحبون الى الحدود الايرانية التركية آنذاك، أي الحدود الايرانية العراقية حالياً، فإن الدولة الايرانية كثيراً ما كانت تتعاون مع العثمانيين في إخماد وقمع هذه الانتفاضة الشعبية.

تهجيرات أخرى في الدولتين الايرانية والعثمانية:

هناك، حتى الآن، أخلاف للعديد من العشائر والمجموعات الكردية في ظل الدولتين الايرانية والعثمانية خاصة طوال القرون السبعة الاخيرة، قد تعرضت إلى التهجير والنفي الجماعي واقتلاعهم نهائياً من مناطق سكناهم الأصلية. اذ كلما أندلعت ثورة أو أنتفاضة كردية (وما أكثرها طوال أربعة عشر قرناً)، عاقبت الدول الكرد الآمنين البسطاء وأنتقمت منهم كاجراءات قمعية ضد الثورات. هكذا، مثلاً، كانت عشائر بكاملها تختفي ولايدري أحد ما حل بأفرادها، الا بعد حين. فعشيرة كردية كبيرة مثل (سيامنصوري) كانت تسكن جنوب وشرق كركوك، هجرتها السلطات العثمانية جماعياً نحو مصير مجهول، وتبين أنها نقلتهم إلى أفغانستان وقد ذاب بعضهم في المجتمع الأفغاني بينما البعض الآخر مازالوا محافظين على طابعهم الكردستاني. وبنفس الطريقة وصل الى شرق باكستان الحالية أفراد ومجموعات كردية. كذلك كانت الدولة الايرانية تسلك نفس السياسة التهجيرية والأقصائية مع الكرد في ايران، ففي بدايات الدولة الصفوية هجرت عشائر كردية بكاملها من شرق كردستان (أي كردستان ايران حالياً)، اي: غرب ايران الى أقصى شمال شرق ايران، اقليم خراسان، واسكنتهم على حدودها الشرقية المهددة من قبل هجمات التركمان والافغان وغيرهم. وقد تكاثر عدد الكرد هناك حتى اصبحوا ينظمون انفسهم منذ وقت مبكر، وتحولوا تدريجياً إلى جزء آخر من كردستان، واشتركوا في الأنتخابات البرلمانية الايرانية خلال السنوات الاخيرة ووصل مجلس الشورى الاسلامي الايراني (وأعلن اثنان منهم انهم كرد وانضموا إلى الكتلة البرلمانية الكردية في البرلمان الايراني).

وهناك عشائر أخرى، أصبحت كبيرة العدد فيما بعد، نقلتها السلطات العثمانية إلى مناطق أخرى، وهي شاسعة وغير مستغلة. فان التجمعات الكردية في لبنان وغيره ناتجة أصلاً عن الهجرة والتهجير في أوقات مختلفة حيث كان الناس يبحثون عن مصادر للعيش.

فحملات التهجير الكبرى للكرد ساهمت في تغيير مستمر في الجغرافية السكانية للكرد، إلا ان الثابت الذي لم يتغير هو استقرارهم في مناطق معروفة، بينما كان التهجير يوسع الجغرافية السكانية أحياناً، ويشكل مشكلات ديمغرافية واجتماعية للدول القائمة بهذه التهجيرات، مثلما هي حالة تركيا مع بعض حالات التهجير الكردي الى غرب تركيا حيث تزايدت النسبة الكردية. بينما كان التهجير يخلف آثاراً سلبية وخيمة في المناطق الكردية الأصلية.

والتهجيرات القسرية في عهد النظام العراقي السابق لم تستطع إضعاف الشعور بالانتماء القومي والثقافي لأية شريحة كردية مهجرة سواء داخل المحافظة نفسها او خارجها. يعود ذلك إلى تمسك الكرد بثقافتهم برغم الانفال والقصف الكيمياوي. أما هذه التهجيرات في اقليم كردستان فقد أثرت سلبياً في الجغرافية الادارية والاجتماعية، اذ حاولت اقتطاع مناطق كردستانية أصلية عن الجسم التأريخي والثقافي لكردستان، وتغيير النسبة الديمغرافية فيها، ما خلق منازعات ومشكلات أجتماعية واقتصادية حول الموارد وتوزيع الثروة.

فالكرد، ظلوا برغم، عنف التهجيرات والتطهير العرقي، متمسكين بالدفاع عن الطابع القومي لمناطقهم الاصلية.

الكيان الثقافي والمُنجي المنتظر:

فالكرد لم يضطهدوا ويهجروا من قبل قومية سائدة واحدة، بل تجرعوا على أيدي حكومات الامة التركية والامة الفارسية والامة العربية، بدرجات مختلفة، شديدة حيناً وخفيفة حيناً آخر.

الشعور بوطأة هذا الظلم والغبن من قبل امم مجاورة خلف بالطبع احساساً بالمرارة، واليأس من مفاهيم العدالة والمساواة والحقوق التي طالما سمعها الكرد من هذه الحكومة أو تلك.

لذلك ظلت آذان الكرد وأبصارهم مشدودة إلى أية تحولات أجتماعية تقدمية في مجتمعات هذه البلدان. كان ذلك سلواها يوماً، فالشعب الكردي أكثر شعوب الشرق ترقباً وتطلعاً الى (ظهور المهدي المنتظر أو المسيح كما في الديانتين الاسلامية والمسيحية، أو الى أسوشيانت(١)، المنقذ المنجي النهائي حسب فلسفة الديانة الزردشتية) التي بشرت أنصارها بظهور هذا المنجي الذي يقيم العدل والسلام والرخاء والحرية على الأرض، تماماً كما هي رسالة الاديان السماوية الأخرى.

فكرة الخلاص النهائي، اذن، شاملة وانسانية يشتاق الى تجسيدها كل فرد أو مجموعة بشرية محرومة، فالشعوب المحرومة المظلومة هي مثل مجموعة سجناء لاحول لهم ولا قوة فلا يملكون سوى الانتظار... والانتظار لمجيء من يحررهم وينقذهم.

أظن ان هذه الفكرة، وان كان الكرد لم يضعوها في اطار واضح كما فعل الآخرون، هي موجودة وكامنة في أعماق الثقافة الكردية الضاربة في الجذور.

فالكيان الثقافي الكردي هو الذي صان الوجود الكردي، فإن للثقافة والفن والفلكلور والتقاليد الاجتماعية والتراث، هو من أهم الدعائم الملموسة التي ساندت للكرد على صيانة وجودهم المتميز. فللكرد كيان ثقافي واسع وعميق،اذن.

بمعنى آخر، فإن في غياب الكيان السياسي أدى الى ان يقوم الكيان الثقافي بدوره الحضاري والاجتماعي وإلا مابقيت الامة الكردية متماسكة سياسياً واجتماعياً حتى اليوم.

أما ماهي القدرة الذاتية الكامنة التي ساعدت الكرد على التمسك بكيانهم الثقافي برغم غياب الكيان السياسي قروناً طويلة، فهي قصة أخرى لايتسع الوقت للعودة اليها ونحن في عجالة من كتابة مقالات صحفية يومية.

توجه طبيعي نحو الحكمة والثقافة الشرقية:

فالكيان الثقافي للكرد ازداد رسوخاً واصبح يؤثر في المحيط الاجتماعي حوله، سيما وان الجيلين الاخيرين من الكتاب والمبدعين والفنانين الكرد وسعوا من مشاركتهم الايجابية في الحركة الثقافية للعرب والترك والفرس وغيرهم، حسب الإمكانات والحريات المتاحة في كل بلد. فعلى صعيد اللغة مثلاً، يكتب ويبدع بعض الكرد حالياً بأربع لغات:

اللغة الام، واللغة العربية، واللغة الفارسية، واللغة التركية. بينما لايوجد من بين هذه الامم كاتب أو مترجم أو صحفي يتقن اللغة الكردية كتابة وتحريراً.

لن اطيل في هذا الباب، وأختصر الحديث بالتأكيد على انني الاحظ قريباً بزوغ عهد جديد من الثقافة الاممية في الشرق الاوسط، يضاف اليها التيار الغربي الحديث من جهة والتقدم السريع للتيار الشرقي الثقافي، أو الحكمة والفلسفة الشرقية التي تشكل الثقافة الكردية امتداداً طبيعياً لها، وهي اسرع الثقافات التي تتأثر بهذه الفلسفة الشرقية من جهة أخرى،... انني اكاد أرى ظهور مقدمات هذا العصر الجديد، بينما معظم الكتاب والأدباء والمفكرين الكرد مازالو حتى الآن مترددين في التوجه نحو الحكمة الشرقية واستيعابها، بل هم غارقون في الاهتمام بكل ماهو غربي، أوروبي أو أمريكي، ربما تقليداً لمثقفي أمم وشعوب المنطقة من عربية وتركية وفارسية وغيرها.

لن اقلل بالطبع من الأهمية الكبرى لدور الثقافة الأوروبية المعاصرة في نشر فلسفة التنوير والتبشير بالعقل العلمي والفلسفي، وهو ما نحتاج اليه بالذات في ثقافاتنا الشرق الاوسطية.

اذ لايمكننا اهمال التأثير العظيم لمجمل الثقافة الغربية، الأوروبية (والروسية أيضاً) خلال ٣-٤ قرون مضت في مسيرة ومصير الثقافة الانسانية قاطبة.

إلا ان أهتمامنا بالجذور الأصلية لثقافتنا، وهي الجذور الهندية والصينية والأديان والمذاهب الشرقية مثل الهندوسية والبودائية والميترائية والزردشتية ومدارسها المتنوعة القديمة والحديثة والشنتوييه (اليابانية) ومدارس التصوف الاسلامي الغني بثقافة انسانية روحية عميقة، ومن ثم الثقافة الإسلامية عامة والثقافة المسيحية واليهودية والصابئية المندائية وجذور الثقافات والفلسفات من عهد سومر وأكد وآشور وغيرها... أهتمامنا بكل ذلك شقٌ رئيسي آخر من أهتمامنا الثقافي الذي يجب ان يتجسد في مؤسسات وهيئات وترجمات وحلقات دراسية اكاديمية بدون انقطاع.

هامش:

سوشيانت (سوشيانس): كلمة زردشتية وردت في كتاب (آفستا) الذي جاء به الحكيم رزدشت حوالي ٥٥٠ ق.م، وهو الكتاب المقدس في هذه الديانة، يعتبر لغوياً اول مرجع مدون للغة الكردية القديمة. وبعد صدور قواميس غنية عن مفردات (آفستا) تبين ان ما من كلمة كردية حالية، في أية لهجة وفي اي اقليم، إلا ويمكن العثور على جذورها الواضحة في هذا الكتاب الغني بثقافة روحية واسعة تركت آثارها على الديانات بعدها: اليهودية والمسيحية والاسلامية، والمدارس والمذاهب المختلفة المتفرعة من هذه الاديان.

واما كلمة (آفستا) فتعني كتاب المعرفة أو الحكمة.

وكلمة أو مصطلح (سوشيانت/ أو سوشيانس) يعني لفظياً: واصل الخير، او حامل الخير أو ناشر الخير، مامعناه الانسان الذي يفيد البشرية وينقذها، «في آخر الزمان»، ويحقق أحلام البشرية في العدل والسلام الشامل ((حتى بين الذئب والحمل أو الارنب والصياد)) في اشارة الى عمق السلام والمصالحة بين المخلوقات، ويحقق السعادة والرخاء وكل ماهو مفيد وخير للأنسان، ويدحر الى الأبد جيوش الظلام والاستبداد والفقر والبؤس.

فالفكرة الاساسية، اذن، هي ظهور المنجي الانساني المنتظر، سواء كان بأسم سوشيانت او المهدي أو المسيح او اي اسم آخر، حيث للكثير من الطوائف الدينية والتصوفية في العالم افكار مشابهة، وهي تتعبد وتعيش على أمل ظهور هذا المنجي ذات يوم.

هل للطفل حقوق في العراق؟

كاظم حبيب

لا أطرح هذا السؤال لاستفزاز أي أب أو أم ولا العائلات العراقية ولا المجتمع العراقي، بل هو مجرد سؤال يسعى إلى التعاون الفكري والسياسي والاجتماعي لمعرفة الحقيقة، أي العمل الجاد مع كل الناس الذين يسعون إلى معرفة الحقيقة على نسبيتها، فالحقيقة نسبية وليست مجردة، كما قال أوسكار وايلد بصواب.

دعونا نتثبت من بعض الأوضاع التي يعيش فيها المجتمع العراقي منذ قرون، وعاشها في العقود الخمسة الأخيرة بشكل ملموس ومباشر. فالمرأة في بلادي ليست حرة ولا تتمتع بالحرية والغالبية العظمى منهن لا يعرفن معنى الحقوق العامة، دع عنك حقوق الإنسان وحقوقهن بالذات. والمرأة العراقية غير متحررة من عبودية الرجل وهيمنته المطلقة على حياتها وحركتها ومصيرها، وهي غير مالكة لإرادتها ورسم مستقبلها وعلاقاتها ودورها في المجتمع. والمرأة العراقية في الغالب الأعم حبيسة فتاوى المؤسسة الدينية الرجعية وشيوخ الدين غير المثقفين والجهلة وغير الواعين وغير الديمقراطيين، إذ أن غالبيتهم يعيش في أجواء الغيبيات التي لا صلة لها بالواقع القائم وحياة الإنسان الفعلية والحضارة الإنسانية. والمرأة العراقية ، بشكل عام وفي الغالب الأعم، حبيسة الدار والمطبخ والحجاب ومحرومة من العلم والثقافة والتربية الحديثة. والشعب الذي لا يحترم المرأة لا يحترم نفسه، والشعب الذي يشطب على نصفه لا يمكنه أن ينهض بأعباء التقدم والتطور وبناء أجيال أكثر احتراما لنفسه، بل يعيد إنتاج تخلفه وركوده القاتل.

المرأة العراقية، هذه الإنسانة المقيدة بقيود من حديد في مجتمع لا يعي حتى نفسه، تزهو حين تتوفر لها فرصة المنافسة الفعلية مع الرجل في أوروبا وأمريكا وحيثما توفرت لها حرية الحركة والتعلم والمساواة وممارسة الحقوق الأخرى.

أما الرجل، وفي الغالب الأعم، يُعتبر سيد الدار والحاكم المطلق في عائلته ولا يختلف عن المرأة في تدني ثقافته وعلمه وتربيته الحديثة وفي وعيه للواقع الذي يعيش فيه، كما أنه حبيس المؤسسة الدينية وشيوخ الدين في الموقف من المرأة ولا يختلف عن هؤلاء الشيوخ والمؤسسة بل يمثلها أسوأ تمثيل في البيت وفي العمل والشارع وفي المجتمع وعلى مستوى الدولة. وهؤلاء الرجال البؤساء، أغلب الرجال، يشكلون المجتمع الذكوري المسيطر على المرأة والمانع عنها حريتها وإرادتها في دولة ذكورية مستبدة ومتحكمة بحياة ورقاب وحقوق وحرية المرأة. الرجل الذي لا يحترم المرأة لا يحترم نفسه، والرجل الذي لا يرى في المرأة سوى عيباً، هو العيب وليس غيره. والرجل الذي يقتل المرأة بدعاوى تطهير الشرف وغسل العار، هو العار وهو الفاقد للشرف وليس غيره. والرجل الذي يصادر حرية المرأة، مصادرة حريته أصلاً، وفاقد الشيء لا يعطيه.

حين تكون الأم فاقدة لحقوقها، وحين يكون الأب فاقداً لحقوقه ومشوهاً في ممارسته بعض الحقوق التي يمتلكها تقليداً وليس أصالة، ومستبداً في بيته، فهل في مقدورنا بعد كل هذا وذاك أن نتحدث عن حقوق للطفل في العراق؟

الطفل في بلادنا محروم من الطفولة أولاً، ومن الحقوق ثانياً، ومشروع موت في كل لحظة. وليس من باب المبالغة حين نتحدث عن موت مئات الألوف منهم خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

فالقبور الجماعية التي أوجدها صدام حسين في كل أنحاء العرق، وخاصة الأطفال الذين استشهدوا في الأنفال أو الكيمياوي أو المهجرين في دروب الهجرة الحدودية والمضرجين بدمائهم بسبب التفجيرات الانتحارية وغيرها، أو الذين ماتوا في الحروب التي استعرت في العراق أو مئات الألوف الأخرى من الأطفال التي ماتت بسبب الحصار الاقتصادي الدولي، بسبب الجوع ونقص الدواء والحرمان، أو بسبب الإرهاب الدموي وسياسات الاحتلال والطائفية البشعة.

العائلة التي لا تعرف حقوقها لا تعرف أيضاً حقوق أطفالها، فهي حين لا تعي مصادرة حقوقها لا تناضل من أجلها، وحينها يصعب تصور أنها تناضل في سبيل حقوق أطفالها. والفئة الحاكمة هي من هذا المجتمع المتخلف والمريض نفسياً والمعطلة حقوقه أو المصادرة، وهي بالتالي مصابة بذات العلل ويصعب تصور أنها تسعى لتأمين حقوق المرأة والعائلة والطفل.

الطفل في بلادنا فاقد لطفولته في البيت، وفاقد لشخصيته في البيت والمدرسة وفي الشارع، وفاقد لتربية سليمة على أيدي معلماته ومعلميه لأن أغلبهم لا يمارس حقوقه ولا يعيها ولا يعي حقوق الطفل أيضاً.

نسبة عالية من أطفال بلادي لا تحصل على تغذية مناسبة، بل تعاني جوعاً دائماً وصحة عليلة ونقصاً في المعالجة والدواء. ونسبة مهمة منهم لا تجلس على مقاعد الدراسة بل تتجول في شوارع الوطن الغني بثرواته طلباً لشيء من مال تسد به غائلة الجوع. من يتجول في شوارع كل مدن العراق سيجد هذه الظاهرة البشعة أطفال بعمر الزهور وأجمل منها يعملون لكسب العيش أو يبيعون الماء والعلكة في المقابر وعلى قارعة الطرق والتسول بين السيارات العابرة والمارة. نسبة من أطفال بلادي بدأوا يتعاطون المخدرات، سواء عبر أكياس النايلون أم تناول المخدرات مباشرة. ونسبة مهمة من أطفال بلادي عرضة للاغتصاب وهي تسعى للحصول على لقمة العيش أو تتعرض إلى الاختطاف وسلبها بعض أعضائها لبيعها لمن يشتري تلك الأعضاء!

من هنا يمكن الادعاء بأن الطفل محروم من الحقوق لأن الأم والأب محرومان من الحقوق قبل ذاك، وهما في الغالب الأعم لا يعرفان أن لهما حقوقا أصلاً، وبالتالي فحقوق الطفل أسوأ حالاً من حقوق الأبوين. وهكذا ينمو الطفل في وضع لا حقوق له، وحين يصبح شاباً لا يتمتع بحقوق الشباب، بل هو محروم منها أيضاً... وهكذا تستمر عملة إعادة إنتاج غياب الحقوق من المهد إلى اللحد.

والفساد المالي والإداري المنتشر في بلادي وسوء التربية والتعليم والمناهج الدينية والتعليمية والمناهج التلفزيونية الباهتة والبائسة والطائفية والبعيدة عن العلم في أغلبها تزيد كلها وتوسع وتعمق من هذه المشكلة الإنسانية حيث يعانيها الأطفال بشكل عام.

هذه كلها وغيرها صيغ تجسد فقدان الطفل لحقوقه في بلادي، وهذه الصيغ من التعامل تُنقل عبرهم لأطفالهم لاحقاً وهلمجرا. هذه الحلقة المفرغة التي يفترض كسرها لا تكسر بالدعاء ولا بالنداءات أو التمنيات الطيبة، بل تكسر بالنضال من أجل تغيير الواقع القائم في العراق، تغيير بنيته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية البائسة حالياً، تكسر بالتنمية الاقتصادية والبشرية وبتغيير وعيه المتخلف، بتوفير مستلزمات تغيير هذا الوعي لدى الفرد والمجتمع، بممارسته لحقوقه، سواء أكان رجلاً أم امرأة. إنها الحلقة الشيطانية التي يفترض كسرها والتي يفترض مساهمة قوى المجتمع الواعية، وبشكل خاص القوى المثقفة والأحزاب والقوى الديمقراطية الواعية نسبياً رغم تباين وعيها لمخاطر هذه الحلقة المغلقة من فقدان هذه الحقوق أو تشويهها أو الهيمنة على المرأة وحرمانها من حقوقها من قبل الذكر والدولة الذكورية والقوانين الذكورية الجائرة والتشريع الديني الذكوري الكاره للمرأة والرافض لحقوقها ومساواتها بالرجل. والدولة التي تعتمد العشيرة والدين قاعدة وأساساً لها تبتعد عن حقوق المرأة وحقوق الطفل وحقوق الإنسان والقوميات ولا تقترب منها، بل تجهض المسيرة نحوها، ومن هنا يفترض النضال من أجل إبعاد الدين عن السياسة وعن الدولة والالتزام بالقاعدة الأصوب: «الدين لله والوطن للجميع».

إن النضال في سبيل حقوق المرأة والعائلة والطفل يعبر عن وعي سليم لأهمية ذلك في بناء المجتمع المدني الديمقراطي الحديث، وأن الطفولة الحالية هي حاملة المستقبل وهي الناهضة بمهماته اللاحقة، وعلى بنائها الراهن يتحدد بناء المجتمع القادم الذي نريد له أن يكون حراً وديمقراطياً وحديثاً.

العرب.. والمعرفة

وميض إحسان

أزمة المعرفة في المجتمعات العربية ليست طارئة، واسبابها ليست آنية، وايجاد السبل الملائمة للتخفيف من ثقلها او انهاؤها معضلة ليست مستعصية على الحل، فالازمة قائمة منذ قرون، وطوال هذه القرون انزوى الفكر العربي في ركن قصي من العالم، ساكناً، منكفئاً على نفسه، منقطعاً عما قبله ومنغلقاً لما بعده، قانعاً بقصص الماضي واحاجي التراث ووهم المعجزات دون الالتفات الى تقلبات الزمن وتطورات الحياة المحيطة به، حتى بدا مستسلما لمظالم التاريخ والجغرافيا وصار الجمود والتحجر صفتين طبعت وجه المجتمع العربي.

وعلى الرغم من كل الفترات المضيئة في التاريخ العربي، فقد لازم الفشل معظم محاولات الاباء الاولين في اخراج الفكر العربي من حالة استهلاك المعرفة الى حالة انتاجها، الامر الذي احال العقل العربي الى منظومة ليس لها سوى بوابة ضيقة تسمح بالتلقي وغير قادرة على التصدير، وهو ما ادى الى نكوصه واخراجه، بكل تاريخه وبكل رجاله، من دائرة التنافس والمشاركة الواعية في صناعة التارخ الانساني،.

النتاج المعرفي العربي ضئيل جداً بالقياس الى التاريخ والموارد، ويكاد ان يكون معدوماً بالمقارنة مع النتاج المعرفي العالمي، يكفي ان نعرف ان كل الدول العربية انتجت في سنة ٢٠٠٥ بحوثاً ودراسات اقل مما انتجته جامعة هارفارد الاميركية لوحدها خلال نفس السنة.

وعلى الرغم من الموارد المالية والبشرية الكبيرة التي تحتاز عليهما الدول العربية، فان هذه الموارد لا تزال مسخرة بالكامل لاستعارة، او شراء مناهج الفكر والعلوم والتكنولوجيا دون توظيفها، او حتى منحها الفرصة، لمحاولة انتاجها.

هذه الحال تدعونا الى البدء في عملية نقد ذاتية صارمة واخضاع كل قيمنا السائدة الى اعادة نظر واعية، ومن ثم اعادة صياغة لمرتكزات العقل العربي ومنطلقاته الاجتماعية والسياسية، لعل ذلك يساعد على تضييق الفجوة المعرفية بين المجتمع العربي والعالم.

فالمعرفة هي المعلومة التي ينتجها العقل..وهي نتاج الخيال والتأمل الواعي.

ولكي يتم انتاج المعرفة لابد من انشاء بنية معرفية. وانشاء البنية المعرفية يتطلب انتاج علماء وادباء وفنانين.

في عام ٢٠٠٨ تم الاعلان عن مبادرة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم حاكم امارة دبي بتخصيص مبلغ عشرة مليارات دولار لانشاء مراكز بحوث في مختلف التخصصات، الغاية منها دعم التنمية العربية وتشجيع المبادرات العلمية والثقافية والادبية.

وفي نفس الاتجاه، وبنفس الدواعي ، تم الاعلان في دولة قطر عن تخصيص ايرادات بئر نفطية تقدر بملياري دولار سنوياً اطلق عليه «بئر المعرفة».

بعضهم يؤكد ان كل ذلك غير كاف لانشاء بنية معرفية فاعلة بمقدورها التعويض عن التاخر الذي اصاب المجتمع العربي من جهة، ومواكبة حركة عالمية متسارعة في خطواتها وفوارة في تطورها من جهة اخرى.

الاستثمار الاقتصادي في مجال المعرفة لايقل ربحية عن الاستثمارات الاخرى، ولعله يتفوق عليها في كثير من التفاصيل، فضلاً عن تاثيراته الفعالة في دورة الحياة الانسانية.

وحركة المال العربي تكاد ان تكون عشوائية وتفتقر الى الاتجاه الصحيح، ولابد ان ينشغل العرب بتصويب هذه الحركة واستثمارها بشكل جديد يتناسب مع متطلبات تنمية حقيقية للمجتمعات العربية، وما نقوله عن الدول الغنية، نعيد قوله فيما يتعلق بالملياديرات العرب ايضاً، الذين يتنامون بشكل غير طبيعي وهدفهم الوحيد هو زيادة ارصدتهم من خلال المشاريع التجارية والاستهلاكية.

وعلى الرغم من الملاحظات الكثيرة، والغايات الحقيقية، ومدى الجدية والموضوعية اللتان يتم التعامل بهما مع مبادرتي دبي والدوحة، لكنهما تبقيان ظاهرة متفردة لم يتعود عليها العرب حتى الان، وخطوة متقدمة في الاتجاه الصحيح ينبغي تشجيعها وتطويرها من خلال مشاركة جهات او دول اخرى، خصوصاً دول الغنى العربي، وقد تمثل مدخلاً لاستقطاب الكفاءات العربية وتشجيعها على خلق بنية معرفية تشكل بدايات قاعدة علمية بحثية عربية تساعد على تصحيح وتنمية الكثير من المجالات التي ترتكز عليها مقومات المجتمع العربي.

ولعلها تكون فاتحة لادراك جماعي عن اهمية مراكز البحوث والدور الذي تلعبه في عملية انتاج كل اشكال المعرفة، وهي في نهاية الامر استثمار اقتصادي حقيقي في قطاع تنمية المجتمع علمياً واجتماعياً وفنياً تصب نتائجها في سلة التنمية العربية المستدامة، اذ لم يعد للعرب اعذار مقبولة في التمادي بغفوتهم الطويلة، وفي عدم الاندفاع مع حركة عالم يغلي بالتطورات اعاد صياغة منطلقاته وثوابته مرات عديدة خلال نصف قرن من الزمن، والانخراط في مسيرة تنمية شاملة تساعد العرب كامة على حجز موقع مناسب يجانب باقي الامم في صناعة الحياة.

آراء وأفكار Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:

١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .

٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@ yahoo.com